الإسلام دين الأخلاق (*)

إن الدين الإسلامي هو قوام الحياة الطبيعية وعمادها ، فالحياة بلا وازع ديني حياة بلا قيم ، وبلا أخلاق ، لأن أساس هذا الدين العظيم هو مكارم الأخلاق ومحاسنها ، فما من كتاب دعا إلى مكارم الأخلاق مع كل الناس مثل القرآن الكريم ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) الذي تنزل عليه القرآن كان أنموذجًا عمليًّا في امتثال الأخلاق القرآنية ، فقد كان أجمع الخَلْق خُلُقًا ، لأنه كان أجمعهم للقرآن تطبيقًا وامتثالاً، كما ورد في حديث السيدة عائشة (رضي الله عنها) حين سألها هشام بن عامرٍ (رضي الله عنهما) قال : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، حَدِّثِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ: (أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟) قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: (فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ الْقُرْآنَ) (رواه مسلم).

---

*) د/ نوح عبد الحليم العيسوي – مدير عام بحوث الدعوة.

ومن جوانب العظمة في الدين الإسلامي أنه ما ترك فضيلة من الفضائل ولا خصلة من خصال الخير تقربنا من رحمة الله – عز وجل – وجنته ورضوانه إلا وأمرنا بها ورغَّبنا فيها ، وما ترك خُلقًا ذميمًا ولا خصلة من خصال الشر تبعدنا عن رحمة الله – تعالى – إلا ونهانا عنها وحذَّرنا منها ، فهو دين يجمع بين القيم والمُثُل الإنسانية الرائعة التي تجسد الصورة المثلى للأخلاق الفاضلة.

فالإسلام دين التحلي بمكارم الأخلاق ، فقد دعانا القرآن الكريم في كثير من آياته إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، ومن ذلك قوله سبحانه – آمرًا رسوله (صلى الله عليه وسلم) –:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف: ١٩٩]، وقوله تعالى:{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}[البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى:{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاس وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا

عَظِيمًا}[النساء: ١١٤] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ومن تأمل آيات القرآن الكريم ، ودقق النظر فيها ظهرت له آيات كثيرة تدعو إلى مكارم الأخلاق ، ووجوب التحلِّي بها ، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزانًا شرعيًّا يهذِّب الإنسان ، ويرقى به إلى مدارج الكمال ، فمنه نتعلم الرحمة، والصدق، والعدل، والسماحة، والأمانة، والوفاء بالعهد ، والكرم ، والإيثار ، والحياء ، والشجاعة ، والتواضع ، والعدل ، والإحسان، وقضاء حوائج الناس ، وغض البصر ، وكف الأذى ، وتوقير الكبير ، وطلاقة الوجه وطيب الكلام ، وحسن الظَّن ، ومُراعاة مشاعر الآخرين ، وغير ذلك من الأخلاق التي بها صلاح البلاد والعباد ، ومن ثمَّ يجب على المسلم أن يتحلى بها، ففي ذلك سعادته في الدنيا والآخرة.

كما أكدت نصوص السنة النبوية المطهرة على أهمية الأخلاق في حياة الإنسان ، مبينة الأجرَ العظيم لمن تخلق بالأخلاق الفاضلة ، ومن ذلك قوله (صلَّى الله عليه وسلَّم) :

(الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) (رواه مسلم).

ومن ثمَّ يتضح أن للأخلاق في الإسلام مكانة خاصة ومنزلة عالية ، فهي لبُّ الدين وجوهره ، فقد سئل (صلى الله عليه وسلم) ما الدين؟ قال: (حسن الخلق) (رواه مسلم) ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أولاها عناية فائقة ، حيث أعلن (صلى الله عليه وسلم) أن الغاية الأولى من بعثته ورسالته إنما هي إتمام مكارم الأخلاق ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ) (الأدب المفرد للبخاري)، وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (رواه أحمد).

الأخلاق والنبوات:

لقد أرسل الله (عز وجل) الرسل (عليهم السلام) بمهام عظيمة أهمها : هداية الخلق إلى الحق ، ونشر الفضيلة بين الناس ، وعلى رأس الفضائل تأتي الأخلاق ، وقد جمع الله

(سبحانه وتعالى) لرسولنا (صلى الله عليه وسلم) مكارم الأخلاق البشرية ، فتألّقت روحه الطاهرة بعظيم الشمائل والخِصال، وحتى قبل الرسالة كان الناسُ يُسمُّونَه بالصادق الأمين ، كيف لا ؟ وقد اصطفاه الله تعالى على بني آدم ، وختم به أنبياءه ، ويكفيه (صلى الله عليه وسلم) شرفًا أن الله (عز وجل) لما مدحه في القرآن الكريم لم يمدحه بشرف النسب ، ولا بجمال الخلقة ، ولا بكثرة العبادة والطاعة ، وإنما مدحه وأثنى عليه بعظمة الأخلاق ، فقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم} [القلم: ٤].

وقد كان (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يحثُّ على مكارم الأخلاق ويرغب فيها، فمرة يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ) (مسند أحمد) ، وسئل (صلى الله عليه وسلم): أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (سنن ابن ماجه)، ولما سُئِلَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عَنْ أَكْثَرِ

مَا يدخل الناس الجنة، قَالَ: (تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ) (سنن الترمذي).

الأخلاق والعبادات:

المتأمل في النصوص الشرعية يجد أن جميع العبادات تحمل في مضامينها قيمًا ومعانيَ أخلاقية سامية ، ذلك لأن الإسلام قد ربطها جميعها بمكارم الأخلاق ، فما من عبادة شرعها الإسلام من صلاة ، وصيام وزكاة ، وحج ، إلا ولها أثر يظهر على سلوك الفرد في السمو الأخلاقي، بل إن هذا الأثر يتعدى الفرد إلى المجتمع ، فالإسلام ليس طقوسًا جوفاء لا علاقة لها بالواقع، ولا أثر لها في السلوك ، إذ لا يعقل أن يخرج العابد من عبادته ليغُشَّ أو يحتكر ، أو يؤذي جاره ، أو يكذب ، أو يخون ، أو يخلف العهد أو الوعد ، إنما شرعت العبادات في جميع الأديان لترتقي بسلوكيات الإنسان ، وتسمو بأخلاقه.

ففريضة الصلاة التي تربط العبد بربه ، تنهى عن الفحشاء

والمنكر ، حيث يقول الحق سبحانه:{اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُون} [العنكبوت:٤٥] ، بل إن قبول الصلاة متوقف على التخلق بأحسن الأخلاق ، وقد أكد رب العزة (سبحانه) هذا المعنى في الحديث القدسي ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم) : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي ، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي ، وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي ، وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي ، وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ وَابن السَّبِيلِ وَالأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ) (رواه البزار).

فالصلاة إن لم تؤثر في صاحبها وتمنعه عن الفحشاء والمنكر فلا أثر لها ولا ثمرة ، بل إنها قد تكون وبالاً على صاحبها، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا)، وفي

رواية: (مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا) (رواه الطبراني بإسناد صحيح).

وكذلك فريضة الزكاة تعمل على تزكية النفس البشرية، والارتقاء بها إلى مكارم الأخلاق ، فهي طهارة لنفس الغني من البخل والشح والأنانية ، وطهارة لنفس الفقير من الحقد والبغض والحسد ، يقول الحق سبحانه وتعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[التوبة :١٠٣].

كذلك فريضة الصيام ، فرضها الله سبحانه وتعالى على الغني والفقير تهذيبًا للأخلاق والسلوك ، وتحقيقًا لتقوى الله (عز وجل) ، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة : ١٨٣] ، فمن خلال الصوم يتعود المسلم على ضبط أخلاقه وغرائزه ، وبذلك يتحقق الهدف الأسمى من الصيام ، أما إذا ترك هذا الهدف الرفيع فسيكون صيامه خاليا من السمو

الروحي ، فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، فالصوم الحقيقي هو الذي يترك أثرًا طيبًا في سلوك المسلم وأخلاقه ، وهذا ما أكد عليه نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (... وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ...) (رواه البخاري).

وكذلك فريضة الحج ، فمن خلالها يتعلم المسلمُ الفضائل والأخلاق ، ويتدرب على تهذيب السلوك الإنساني ، ويتربى فيها على تقوى الله (عز وجل) ، والطهر ، والعفاف ، والتحكم في غرائز النفس وشهواتها ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، ليخرج الحاج من هذه الفريضة وقد تحققت له مضامينها الأخلاقية والسلوكية ؛ لأجل ذلك ربط القرآن الكريم بين أداء الحج واستقامة السلوك الإنساني ، فقال سبحانه :{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ

اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة :١٩٧] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

ومن ثمَّ فالعبادات في الإسلام جوهرها الأخلاق ، ولا بد وأن تترك أثرًا إيجابيًّا على الفرد حتى ينعكس على المجتمع، أما إذا لم تؤثر في سلوكيات صاحبها وأخلاقه فتصبح بلا قيمة ولا ثمرة ، إضافة إلى أن سوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ

خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (رواه الترمذي).

ولما سئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ) (رواه أحمد).

وجدير بالذكر أن حسن الخلق هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة ، فعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنها) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ) (رواه أحمد) ، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ) (رواه الترمذي).

كما أنه يرفع درجة صاحبه حتى يتساوى مع قائم الليل وصائم النهار، فعن عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْها) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ) (رواه أبو داود).

إضافة إلى أن صاحب الخلق الحسن يحبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويجاوره في الجنة ، فعن جَابِرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: (المُتَكَبِّرُونَ) (رواه الترمذي) .

خصائص الأخلاق في الإسلام:

وإذا كان المصلحون على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم

قد دعوا إلى التخلق بالأخلاق الحسنة فإن دعوة الإسلام للتخلق بمكارم الأخلاق تختلف عن دعوات هؤلاء المصلحين ، فالأخلاق في الإسلام لها خصائص ومميزات ، منها:

أنها شاملة واضحة: فلم تقتصر على جانب العبادة فقط بل شملت جميع جوانب الدين والدنيا ، فعن أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (رواه الترمذي).

أنها ثابتة لازمة: لم تحدد بمدة زمنية وينتهي دورها ، بل هي ثابتة باقية ببقاء الدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، استمدت ثباتها وبقاءها من الذكر الحكيم المحفوظ بحفظ الله ، قال تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الْحِجْرِ: ٩].

أنها وسطية : ووسطية الأخلاق في الإسلام تعني أنها الأحسن ، فدائما الخلق الإسلامي ممدوح بين مذمومين ، فالجود مثلا ممدوح توسط بين مذمومين الإسراف والبخل ، والشجاعة ممدوح توسط بين مذمومين التهور والجبن ، وهكذا كل الأخلاق في الإسلام تمتاز بالوسطية.

أنها متنوعة المجالات ولها صور متعددة ، منها:

العلاقة مع الله عز وجل ، وذلك أعلى المجالات وأفضلها ، ويتحقق بتقوى الله سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة له وحده دون سواه ، وحسن التوكل والاعتماد عليه، عن أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اتَّقِ اللَّه حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (رواه الترمذي)..

العلاقة مع الأهل والأقارب ، فينبغي أن يتخلق الإنسان بأخلاق الإسلام مع أهله وأقاربه ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:

(خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (رواه ابن ماجه).

العلاقة مع غير المسلم: إن مكارم الأخلاق تشمل كافة المخلوقات، فلا فرق بين مسلم وغيره، إنما الجميع أخوة في الإنسانية، فالحق سبحانه وتعالى يقول: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[الإسراء:٧٠]، ولما قام النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لجنازة مَرَّتْ بِهِ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، قَالَ: (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟)(رواه البخاري). فينبغي أن يتحلى المسلم بالأخلاق الكريمة مع غير المسلم لإظهار سماحة الدين ووسطيته ، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة:٨].

التعامل مع الحيوان ، فلم تقتصر مكارم الأخلاق على البشر فحسب، بل إن دائرة الأخلاق تشمل الحيوان أيضًا،

فإن الله (عز وجل) أدخل رجلا الجنة بسبب كلب سقاه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ: وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ) (رواه البخاري).

وفي المقابل دخلت امرأة النار بسبب هرة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خِشَاشِ الأَرْضِ) (رواه البخاري).

فحسن الخلق مع الحيوان يكون سببًا لدخول الجنة ، والعكس صحيح فإن سوء الخلق معه يكون سببًا لورود النار ـ والعياذ بالله ـ .

فبالأخلاق تحيا الأمم وتنهض وتبقى آثارها خالدة ، وبزوالها تنهار الأمم وتسقط، وتصبح في مؤخرة الأمم ، فكم من حضارات انهارت ، لا بسبب اقتصادها، أو قوتها العسكرية – فحسب–، وإنما بتردي أخلاقها ، ولله درُّ شوقي – رحمه الله– حيث قال:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ
فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا